ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة

تحبسني بين المدينة والتي اليها رقاب الناس يهوى منيبها يقلبن اسالم يكن راسه
وعيناه حولا بادعيونها مجلس اخر ان سال سايل فقال لما عندكم في تاويل
قوله تع ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك
ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان
يجتمعوا على الهدى والايمان وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا
يخلوا من ان يكون عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة ولا يجوز ان يعني الرحمة لان الكناية
عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو ارادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال الله تعـ
ولذلك خلقهم كان رجوعه الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف
من حيث لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تع الا من
رحم ربك دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف والرحمة هي رقة القلب
والشفقة وذلك لا يجوز عليه تعالى ومتى تعدى بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو
واسقاط الضرر وما جرى مجراها عن مستحق وهذا مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له
على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين او مواخذة المستحق
الجواب يقال اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشيئة التي ينضم اليها الالجا
ولم يعن تع المشيئة على سبيل الاختيار وانما اراد تع ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا
يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراده
منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل
وشهادة اللفظ فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه تع كره الاختلاف والذهاب عن الدين
ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شاءه وجرى بخلق العباد اليه واما شهادة
اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين
اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السايل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية
عن الرحمة لا تكون الا مونثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير
كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون
سرني كلامك وقال تع هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه انما اراد هذا فضل من ربي
وقالت الخنساء ذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها اراد
الرزء وقال امرؤ القيس برهرهة رخصة رودة كخرعوبة البانة المنفطر
فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال اخر هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي

بناقة

بناقة سعد والعشية بارد فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال اخر قامت تبكيه على قبره
من لي من بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر فقال ذا غربة
ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم ان السماحة والمروة ضمنا
قبرا بمرو على الطريق الواضح فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفرا لانه ذهب الى ان الشجاعة
والسماحة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان تانيث المصدر يرجع الى
الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة في الارطاة قالا
فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهي شجر ينبت في الرمل تستظل
بظله الظبا وتاوي اليه قال الشماخ اذا الارطى توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين
وقوله قالا من القيلولة لا من القول على ان قوله تع الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل
ايضا على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل
مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه
امة واحدة ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تع وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ان معناه
انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة
واجرى هذه الآية مجرى قوله تع ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هدايتها
الى طريق الجنة وعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين
الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله ولا يزالون مختلفين
فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم
محمد بن بحر الاصبهاني في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف
هولاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك
اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف
العصران والجديدان اي جا كل واحد منهما بعد الاخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما
ظنه السايل لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه
يوصف بانه رحيم به وان لم يعلم منه رقة القلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعرفون
منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان فعل النعم والفضل
والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق
قلبه لو امتنع من الفضل والاحسان لم يوصف بالرحمة وانما يوصف بذلك